التفسيراتُ الخاطئةُ للنصوصِ الدينيةِ

وأثرُها على السلامِ العالميِّ

إيمانويل أداميكس(*)

السادةُ المتحدِّثون في الجلسةِ. التفسيراتُ الخاطئةُ للنصوصِ الدينيةِ وأثرُها على السلامِ العالميِّ

السيداتُ والسادةُ.

الأصدقاءُ الأعزاءُ.

تعلمون الدور المحوريَّ الذي يحتلُّه تفسيرُ النصوص في كثير من تقاليدنا الدينية، وخاصَّةً دراسةَ النصوص الدينية اليهودية والإسلامية والمسيحية، لِما لها من أهميةٍ بالغةٍ في الحياة الإيمانية لهذه المجتمعات، وإن لم يكن الأمرُ مقصورًا عليها.

يُسهِمُ التفسيرُ في فهمنا لمعاني النصوص ولغتها الأصلية، ليس هذا فحسبُ، بل يُعزِّزُ من صحة التجرِبة الرُّوحية في عالم اليوم، ومن المؤسف تهديدُ الأصولية لهذا الجسر الممدود بين هذين الجانبين من جوانبِ تفسيرِ النصوصِ الدينيةِ.

يُعَدُّ تفسيرُ النصوص عِلمًا قائمًا بذاته، كما يُطلَقُ عليه في الإنجليزية «exegesis»، أو علمُ تفسير النص المقدس، وأصلُ معناه الاشتقاقي «الشرح والإفصاح»، وكما هو الحالُ في كافَّةِ العلوم يتطلَّبُ هذا العلمُ الجُهدَ والمثابرةَ مع الإخلاص والتفاني، ولكنَّه يحتاجُ في المقام الأول إلى الانفتاح، بَيدَ أن الأصولية الدينية -ونقيضًا لذلك- أقامت تفسيراتِها وَفقَ منهج التفسير الحرفي، مستثنيةً أيَّةَ

إثارةٍ للتأويلات النقدية، أو تفاسيرِ الظرف التاريخي، ودورِ التقاليد المفسرة والبيئة الرُّوحية، والتي على أساسها وقع تقريرُ المعنى الجوهري للعقيدة.

وتُعَدُّ مدرسةُ أنطاكية اللاهوتية رمزًا لهذا التوجُّه نحو التفسير الظاهري في التاريخ المسيحي المبكِّر، ولصناعة نوع من التوازُن في وجه تعاليمها الدينية، نشأت هنا في مصر مدرسةُ الإسكندرية العريقة للتفسير، والتي اتَّبعت منهج طريقة أحد كبار متكلِّمي المسيحية في اللاهوت، وهو أوريجانوس ومذهبه في التفسير المجازي، وقد شرع ما يعرف بـ «إظهار رُوحانية النصوص»، ولكن جلسة اليوم ليست حول علم اللاهوت وحده، بل حول الآليَّات والعلل التي تُفضي إلى التفسيرات الخاطئة، وأعتقد أن هناك على الأقل ثلاثةَ جوانبَ لتفسير النص المقدس يُمكنها أن تؤثر سلبًا على السلام والأمن:

١- التفسير الخاطيء عرض خاطيء: وبعبارة أخرى، كثيرًا ما نرى استخدام النصوص الدينية في التعريف بالآخر وبيان حقيقته، باعتباره عدوًّا وجوديًّا؛ والأمر صادق على العَلاقة بين الأديان المختلفة، كما هو بين الطوائف الدينية نفسِها، ولعل المرءَ يتساءل عن مدى معقولية خلق تعريفات مُتصنِّعة لشرعنة العنف تجاهَ الآخر والتمييز ضدَّه؛ مما يؤدي إلى تجريدٍ كاملٍ للإنسان من إنسانيته، وهو ما نراه جليًّا في التجرِبة المأساوية للهلوكوست إبَّانَ الحرب العالمية الثانية، ونقيضا لذلك، يذكر سفر الأمثال: «إِذَا أَرْضَتِ الرَّبَّ طُرُقُ إِنْسَانٍ، جَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَيْضًا يُسَالِمُونَه» (الأمثال، ١٦: ٧).

٢- التفسير الخاطيء وتعزيز نظرة تجزئة العالم: تقوم هذه الرؤية دومًا على المقابلة العدائية «هم ضدُّ نحن»، وتجرِبةُ المقدَّس هذه تقوم على تفرقة واضحة بينهم (الفُسَّاق، العَلمانيون)، وبيننا نحن (أهل القداسة)، ونرى منطق هذه القسمة عمليًّا في «صراع الحضارات» المزعوم عالميًّا، ومما يُؤسَى له أن أَصبَحَ هذا المنطق شائعًا للغاية على أكثرَ من مستوًى محلِّيٍّ، وهذه الساسيةُ الجغرافية للدين هي في جوهرها سياسةٌ جغرافيةٌ لاهوتيةٌ تختلط بالرؤية الدينية للعالم، وتقوم في نهاية المطاف على تفسيرٍ محدَّدٍ للمصادر الدينية، والأطماع السياسية لإقليم من الأقاليم، ولعلنا نتفقُ أن التفسير الرُّوحي بصفته عمادًا لرؤية العالم يُمكن استخدامُه وسيلةً لتوازن القوى بين الدول والمجتمعات الدينية.

٣- يؤدي التفسير الخاطيء إلى الحرب والعنف: وعلة ذلك قدرته على تعليل الحرب والعنف؛ وأودُّ أن أُثير مسألة أخيرة هنا، وهي أن السلام ليس مجرَّدَ موضوعٍ من موضوعات تفسير النصوص الدينية، بل هو العدسات الطبيعية الحميدة، التي ينبغي قراءةُ النص الديني وفهمُه وتفسيرُه من خلالها، فكلُّ تفسير يؤدي إلى العنف هو تفسيرٌ خاطيءٌ باطِّرادٍ.

أودُّ أن أُعرِبَ عن امتناني العميق لمنظِّمي هذا المؤتمر لمعالجة هذه القضيةِ الخطيرةِ.

والآنَ أتركُ الكلمةَ لِمنَصَّةِ المتحدِّثين دون مزيدٍ من التأخيرِ.

شكرًا لكم.